

شهادة المرأة في ضوء القرآن والسنة (١٥) بحث في الفقه الإسلامي

د / حساني محمد نور

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Hassani.nour@mediu.ws

- أن تكون بين الشاهد والواقعة التي يشهد بها صلة تجعله مؤهلا للدراية بما والشهادة فيها
«(١)» .

كذلك من المهم في الشهادة – بجانب الصدق والعدالة والعلاقة بين الشاهد والواقعة – نفي
احتمال قرابة الشاهد لمن يشهد لهم، ونفي احتمال تعمدته إيذائهم . يقول الدكتور البوطي
: " فإذا تحققت صفة العدالة وانتفت احتمالات التحيز لقرابة ، واحتمالات الإيذاء

لخصومة ، كان لا بد بعد ذلك من أن يتحقق القدر الذي لا بد منه من الانسجام بين
شخص الشاهد والمسألة التي يشهد بشأنها ، فإن لم يتحقق هذا القدر الذي لا بد منه ردت
الشهادة رجلا كان الشاهد أو امرأة ، وإن تفاوتت العلاقة بين المسألة التي تحتاج إلى شهادة
وبين فئات من الناس، كانت الأولوية لشهادة من هو أكثر صلة بهذه المسألة وتعاملا معها،
يقطع النظر عن الذكورة والأنوثة(٢) .

٢- لو كانت الذكورة والأنوثة هما معيار الأخذ بالشهادة، لما جعل الإسلام شهادتها
مساوية للرجل تماما في باب اللعان – كما سبق وبيناه – ولما جعل شهادتها كاملة وتقبل
منفردة كما في الرضاع مثلا، بل رد الإسلام بعض شهادات الرجال حين لا تتوفر فيهم
شروط قبول الشهادة ، وهذا هو الأصل في القبول والرفض، يقول الدكتور على
جمعة: "ومن المعلوم أنه إذا ثبت لدى القاضي انصاف الشاهد بصفات رقة المشاعر والعاطفة
فإن شهادته تصح غير مقبولة ، إذ لا بد أن يقوم من ذلك دليل على صلته بالمسائل الجرمية
وقدرته على معانيها ضعيفة أو معدومة، وهو الأمر الذي يفقده أهليته للشهادة في تلك
المسائل" (٣) .

خلاصة – هذا البحث يبحث شهادة المرأة والشبهات التي أثرت حولها ، ويحاول بحث
هذا الأمر من كل جوانبه ، ثم يقدم الرأي الفقهي الدقيق في المسألة

الكلمات المفتاحية: الشهادة - القرآن - السنة - الفقهاء - ابن حزم
المقدمة

معرفة تحديد معنى الشهادة عند اللغويين والفقهاء من الأمور المطلوبة
والضرورية لتقديم الرأي في هذا الموضوع الدقيق الذي تثار الشبهات حوله قديما
وحديثا .

موضوع المقالة

إذا جئنا إلى أقوال الفقهاء في شهادة المرأة رأينا أمورا اتفقوا عليها ، وأمورا اختلفوا
فيها ، ولكي تفهم هذه القضية بكاملها لا بد من فهمها في ضوء القرآن والسنة – كما قلنا
من قبل – وكذلك في ضوء مجموعة من القواعد الضرورية التي تحيط بها ويمكن تلخيص
ذلك في النقاط الآتية:

شهادة المرأة ليست اذراء ولا امتهاننا

كثيرا ما يشير الغربيون والعلمانيون والمنتقدون للإسلام وغيرهم
موضوع شهادة المرأة ، ويستغلونه ويشيعون أن الإسلام انتقص من حق المرأة
حين جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل ، وأن ذلك يمثل اذراء وامتهاننا
لها ، والحق أن ذلك مرفوض لبعده عن الحق من ناحية، وبعده عن روح الإسلام
من ناحية أخرى ، إذ الشهادة في الإسلام بالنسبة للمرأة أبعد ما يكون عن انتقاص
حقها أو اذرائها أو امتهانها، وذلك من عدة وجوه:

١- أن قضية قبول الشهادة أو رفضها لا تتعلق في القضاء الإسلامي بالذكورة أو

الأنوثة، وإنما تتعلق بالصدق والعدالة وقوة صلة الشاهد بالواقعة محل الشهادة ، يقول

الدكتور على جمعة: "علينا أن نعلم أن الشروط التي تراعى في الشهادة ليست عائدة إلى

وصف الذكورة والأنوثة في الشاهد ، ولكنها عائدة إلى أمرين :

- عدالة الشاهد وضيطة

- (١) المرأة في الحضارة الإسلامية / ٤٠
- (٢) المرأة بين طغيان النظام الغربي.. للبطوي / ١٤٨
- (٣) المرأة في الحضارة الإسلامية / ٤٠-٤١

المصادر والمراجع

- ١- لسان العرب ، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، ط. دار الفكر
- ٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ط. دار الريان للتراث
- ٣- صحيح البخاري ، للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، ط. دار الحديث
- ٤- فتح القدير على الهداية، للكمال بن الهمام ، ط. مصطفى بابي الحلبي
- ٥- الشرح الكبير للإمام الرافعي ، ط. دار الكتب العلمية
- ٦- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني، ط. دار الفكر
- ٧- المستدرک على الصحيحين للإمام الحاكم النيسابوري، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي . ط. دار المعرفة
- ٨- المغني، لموفق الدين بن قدامة ، ط. دار هجر
- ٩- سنن ابن ماجة للحافظ ابن ماجة الفزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط. المكتبة العلمية
- ١٠- أحكام القرآن ، للإمام ابن العربي المالكي ط. دار المعرفة
- ١١- مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة لاستأذنا الدكتور محمد بلتاجي ط. دار السلام

كما أننا يجب أن نفهم أن قضية نقصان عقل النساء قضية عامة وليست خاصة ، وليس معنى ذلك أن جميع الرجال أفضل من جميع النساء ، فالعقل لا يمنع من وجود نساء منحهن الله قدرات عقلية يمكن أن يفوقن بها على بعض الرجال ، وهذا ما يؤكد الإمام ابن تيمية رحمه الله: "وفضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص ، فرب حبشي أفضل عند الله من جمهور قريش" .

٣- أن قضية الشهادة ليست تكريماً أو تشريفاً لأحد ، وإنما هي تكليف وواجب يؤديه الشاهد حين تعين عليه الشهادة، ومن هنا كانت عبئاً ثقيلاً على من يؤديها ويقوم بها ، من أجل ذلك جعل الله كسأئها إنما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْهَا فَإِنَّهُ إِذَا دُفِعَ قَلْبُهُ ﴾ ، ومن أجل ذلك علينا أن نعي أن التكريم شيء وقبول الشهادة أو ردها شيء آخر ، فقد ورد في القرآن قبول شهادة الكافر على المسلم في الوصية أثناء السفر إذا لم يوجد غير ،

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ

الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ أُخْرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ

فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾^١ فهل قبول شهادة الكافر تكريم له ، ورد شهادة المسلم

حين تفتقد الشروط المطلوبة إهانة له ؟!

يقول الدكتور زيد عبد الكريم: "قلو شهد رجل مسلم على آخر سولو كان

كافراً -حقاً مالم ي، لم يحكم بموجب هذه الشهادة بمفردها ، ولا بد أن يأتي المدعي معها

بمستند آخر يؤيدها من شاهد آخر أو يمين، فقبول شهادة الكافر ليس تكريماً له، وردّ شهادة

المسلم ليس فيه إهانة له أو انتقاص، ولهذا لا يصحّ أن يجعل قبول شهادة المرأة تكريماً لها

أو إهانة"^٢ .

وقصارى القول هنا إن الاسلام لا ينظر إلى جنس الشاهد ذكراً كان أو أنثى ، ولا

إلى إيمانه أو عدمه ، ولا إلى حريته أو عبوديته، وإنما ينظر إلى ما تتحقق به العدالة و الضبط

وإحفاق الحقّ وعدم ضياعه، ومن هنا فشهادة المرأة أبعد ما تكون عن الازدراء والامتهان

، وإنما أقرب ما تكون إلى التكريم والإعزاز، والانتصار للحقّ والعدالة ، واحتياطاً لتحقيقها

للناس جميعاً.

(١) سورة المائدة / آية: ١٠٦
(٢) كيف أنصف الإسلام المرأة / ٦٤-٦٥